الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة الانثروبولوجيا

مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

مقياس الفكر الخلدوني

محاضرات موجه لطلبة السنة الثانية ليسانس انثروبولوجيا

اعداد الدكتورة: بن قدور حورية

الموسم الجامعي
2021- 2022

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الفهرس	**02**
محتوى المقياس (محاضرة + تطبيق)	**03**
مخطط بناء المقياس	**04**
مدخل	**08**
التعريف بالعلامة ابن خلدون(نشاته، نسبه، دراسته، تكون شخصيته، رحلاته، وفاته ومنجزاته العلمية).	**09**
التعريف بالمقدمة(لمحة تاريخية عنها وعن فصول ابوابها ومقدماتها).	**17**
النزعة الخلدونية في الفكر المعاصر (توظيف الفكر الخلدوني بين النزعة العلمية والنزعة الإيديولوجية).	**23**
الخلدونية وعلم العمران.	**30**
الخلدونية وقضايا الدولة والاجتماع البشري.	**34**
الفكر الخلدوني: المعقول واللامعقول.	**40**
الفكر الخلدوني بين الرأسمال الرمزي والتراث العالمي	**42**
ما بعد ابن خلدون: آفاق تطوير الفكر الخلدوني (ابن خلدون ضد ابن خلدون).	**47**
الفكر الخلدوني وموقفه من (الكمياء، علم الكلام، الفلسفة، التصوف، السحر، التراث اليوناني، ...)	**49**
خاتمة	**52**
قائمة المصادر والمراجع	**53**

محتوى مقياس الفكر الخلدوني

❖ **محتوى المحاضرات:**

مدخل

1- المحاضرة الافتتاحية:التعريف بالعلامة ابن خلدون (نشاته، نسبه، دراسته، تكون شخصيته، رحلاته، وفاته ومنجزاته العلمية).

2- التعريف بالمقدمة (لمحة تاريخية عنها وعن فصول ابوابها ومقدماتها).

3- النزعة الخلدونية في الفكر المعاصر (توظيف الفكر الخلدوني بين النزعة العلمية والنزعة الإيديولوجية).

4- الخلدونية وعلم العمران.

5- الخلدونية وقضايا الدولة والاجتماع البشري.

6- الفكر الخلدوني: المعقول واللامعقول.

7- الفكر الخلدوني بين الرأسمال الرمزي والتراث العالمي.

8- ما بعد ابن خلدون: آفاق تطوير الفكر الخلدوني (ابن خلدون ضد ابن خلدون).

9- الفكر الخلدوني وموقفه من (الكمياء، علم الكلام، الفلسفة، التصوف، السحر، التراث اليوناني، ...).

❖ **محتوى الاعمال الموجهة:**

1/ الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عصر ابن خلدون.

2/ علم العمران البشري اكتشاف ابن خلدون.

3/ البناء الهرمي لعلم العمران لابن خلدون.

4/ المنهج الخلدوني في التاريخ.

5/ نظرية العصبية الخلدونية.

6/ ابن خلدون وقضية الدولة..

7/ تصنيف ابن خلدون للعلوم وموقفه من(الفلسفة، علم الكلام، التصوف والكيمياء...).

مخطط بناء مقياس

الفكر الخلدوني

1. معلومات حول المقياس:

جامعة: محمد خيضر بسكرة الجزائر

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الاجتماعية

مقياس موجه لـ: السنة الثانية ليسانس تخصص أنثروبولوجيا

عنوان المقياس: الفكر الخلدوني

وحدة التعليم: استكشافية

عدد الأرصدة: 02

المعامل: 01

مدة التدريس: 12 أسبوعا

أستاذ المقياس (محاضرة وتطبيق): بن قدور حورية

للتواصل: عن طريق الايميلhouria.benkadoour@univ-biskra.dz

مكان التواجد: مكاتب الأساتذة، المكتب رقم A33أيام الاحد، الاثنين، الثلاثاء.

2. تقديم المقياس:

يعتبر الفكر الخلدوني مقياسا هاما بالنسبة لطلبة الانثروبولوجيا، نظرا لارتباطه بالإسهامات الفكرية لأحد أهم العلماء العرب والمسلمين، وهو العلامة عبد الرحمان

ابنخلدون، من خلال مؤلفه الضخم كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المشهور بـ: المقدمة، الذي عكس مساهماته في التأسيس لظهور بعض العلوم على غرار علم الاجتماع الذي سماه بعلم العمران، والتاريخ من خلال اعتماده على مبادئ جديدة في التأريخ والتحقيق والتدوين، ومن خلال ايضا نقده وتصنيفه لعلوم أخرى على غرار الفلسفة (تاريخ الفلسفة) والمنطق والكيمياء وغيرها من العلوم الأخرى.

3. محتوى المقياس:

مدخل

10- المحاضرة الافتتاحية:التعريف بالعلامة ابن خلدون (نشاته، نسبه، دراسته، تكون شخصيته، رحلاته، وفاته ومنجزاته العلمية).
11- التعريف بالمقدمة (لمحة تاريخية عنها وعن فصول ابوابها ومقدماتها).
12- النزعة الخلدونية في الفكر المعاصر (توظيف الفكر الخلدوني بين النزعة العلمية والنزعة الإيديولوجية).
13- الخلدونية وعلم العمران.
14- الخلدونية وقضايا الدولة والاجتماع البشري.
15- الفكر الخلدوني: المعقول واللامعقول.
16- الفكر الخلدوني بين الرأسمال الرمزي والتراث العالمي.
17- ما بعد ابن خلدون: آفاق تطوير الفكر الخلدوني (ابن خلدون ضد ابن خلدون).
18- الفكر الخلدوني وموقفه من (الكمياء، علم الكلام، الفلسفة، التصوف، السحر، التراث اليوناني، ...).

4. المكتسبات القبلية الواجب معرفتها:

1-أن ابن خلدون عبد الرحمان هو صاحب المؤلف الهام الموسوم ب: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (المقدمة).

2-محاولة التأكيد على ضرورة العلم بأن مؤسس علم الاجتماع هو صاحب المقدمة ويعني بذلك ابن خلدون.

3-الاحاطة بالبيئة المكانية والزمانية التي نشأ فيها ابن خلدون.

5. أهداف التعلم:

1- اطلاع الطالب على التجليات والارهاصات الفكرية للمفكر العربي الكبير ابن خلدون، مع محاولة ربطها وإسقاطها على الطرح الانثروبولوجي والاجتماعي الحديث والمعاصر.

2- التطرق لكل اسهاماته وإبداعاته في التأسيس والتنظير لظهور بعض العلوم، والاهتمام بتصنيفه ونقده لعلوم اخرى.

3- التعرف على رؤيته الخاصة لعلم العمران والتأريخ وكيف مهد لظهور علم الاجتماع وفلسفة التاريخ.

6. طريقة تقييم التعلم:

يتم التقييم في هذا المقياس عن طريق:

أولا : امتحان كتابي حضوري في نهاية السداسي، تتم برمجة زمانه ومكانه من طرف الادارة.

ثانيا: تكون اجابة الامتحان فيه على شكل مقال تحليلي، ويتم فيه مراعاة ما يلي:

1-المنهجية

2-تحديد المطلوب

3-سلامة اللغة والخط

7. نشاطات التعلم:

1-يتم اعطاء الطلبة مجموعة من الاعمال الاختيارية قصد البحث فيها.

2-يتم منح الطلبة مجموعة من المراجع اختيارية ايضا لقراءتها وتلخيص أهم أفكارها.

3-محاولة اقامة حوار داخل الحصص من أجل تبادل المعارف، وتثبيت الصحيح وتصحيح الخطأ لدى الطلبة.

4-انشاء مجموعة خاصة للتواصل مع الطلبة مستعينين في ذلك بشبكات التواصل الاجتماعي.

5-فتح مجال اللقاء الافتراضي (عن بعد) في منصة مودل حسب التوقيت المبرمج من طرفي والمعلن عنه مسبقا.

8. موارد المساعدة:

1-ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط 2، 1996.

2-ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق أبي عبد الرحمان عادل بن سعد، الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

3-صلاح الدين بسيوني رسلان: السياسة الإقتصاد عند ابن خلدون، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، بدونطبعة، القاهرة 1999.

4-محمد محمود ربيع: النظريات السياسية لابن خلدون، دار الهناء للطباعة، ط1 بيروت 1995.

5-محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة -معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة السادسة، بيروت، 1994.

6-عزيز العظمة، ابن خلدون وتاريخيته، دار الطليعة، الطبعة الثانية، بيروت، 1987.

7-سعيد محمد السقا، تاريخ العلوم عند العرب -رؤية جديدة للمنهج الخلدوني،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الطبعة الاولى، الاسكندرية،2015.

8-محمود عبد المولى، ابن خلدون وعلوم المجتمع، الدار العربية للكتاب، ط2، ليبيا، 1980.

9-نور الدين الحقيقي، الخلدونية العلوم الاجتماعية وأساس السلطة السياسية، ترجمة/ الياس الخليل، المطبعة الجهوية بوهران، بدون طبعة، بدون تاريخ.

مدخل:

يعتبر الفكر الخلدوني مقياسا هاما بالنسبة لطلبة الانثروبولوجيا، نظرا لارتباطه بالإسهامات الفكرية لأحد أهم العلماء العرب والمسلمين، وهو العلامة عبد الرحمان ابن خلدون، من خلال مؤلفه الضخم كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المشهور بـ: المقدمة، الذي عكس مساهماته في التأسيس لظهور بعض العلوم على غرار علم الاجتماع الذي سماه بعلم العمران، والتاريخ من خلال اعتماده على مبادئ جديدة في التأريخ والتحقيق والتدوين، ومن خلال ايضا نقده وتصنيفه لعلوم أخرى على غرار الفلسفة (تاريخ الفلسفة) والمنطق والكيمياء وغيرها من العلوم الأخرى...

أهمية هذا المقياس تتجلى أكثر من خلال انه يمنح الطلبة فرصة التفتح على خصوصيات ومنشأ هذه العلوم وأهم المؤسسين لها أو المطورين لنظرياتها، في حين أنه يساهم بفعالية في تنمية ملكاتهم العلمية وتطوير روحهم النقدية والثقافية لمختلف العلوم والتخصصات.

المحاضرة الأولى: التعريف بالعلامة ابن خلدون (1232-1406م)

1. من هو ابن خلدون؟ما هي أهم أعماله وانجازاته العلمية؟

نحاول أن نعرض في هذه المحاضرة الظروف الزمانية والمكانية التي وجدت فيها شخصية ابن خلدون وعن أهم الرحلات التي قام بها خاصة في المغرب العربي، من تونس مسقط رأسه إلى المغرب والجزائر والاندلس ومصر مرورا بسوريا والحجاز، ومن ثم نذهب للتفصيل أكثر في انجازه العلمي المتمثل في مؤلفه الشهير "**المقدمة**".

لمحة تاريخية عن ابن خلدون

- **ولادته، نسبه: نشأته ودراسته:**

هو عبد الرحمن ابن خلدون ولد بتونس سنة 732هـ (1232م) حدد بنفسه نسبه اليمني الحضرمي الذي يؤول به إلى أوائل بن حجر من قبيلة كندة، ونسب نفسه إلى اسم أحد أجداده وهو خالد المعروف بابن خلدون، وقد دخل ابن خلدون الأندلس مع جند اليمانية وحل بإشبيلية سنة 92هـ، وقيل في القرن الهجري الثالث (9م)، وتولى أفراد هذه الأسرة مناصب تربوية وإدارية[1].

[1] أبو عمران الشيخ، معجم المشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995، ص 192.

وقد شغل أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة وكانوا أهل جاه ونفوذ، نزح أهله من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري وتوجهوا إلى تونس، وكان قدوم أهله إلى تونس خلال حكم الحفصيين[1].

نشأ ابن خلدون في بيت علم وسياسة، وتوارثت أسرته الاشتغال بالقضاء. حفظ القرآن بالقراءات السبع، ودرس الحديث والفقه الملكي على يد أبي عبد الله بن برال، وتلقى علوم العربية والشعر على يد والده وعلى مشاهير علماء تونس. ودرس عند العديد من العلماء المغاربة (الوافدين إلى تونس مع أبي الحسن المريني الذي احتلها سنة 758هـ) التوحيد والفلسفة والمنطق، فتضلع في العلوم العقلية، وحذق فن الكتابة ...والخ، مما سهل عليه التأليف وتولي مناصب، وقد تزوج حوالي سنة 754هـ. ولكن بعد فقد والده وشيوخه شقت عليه الإقامة والدراسة في تونس[2].

- **مسيرة حياته: تنقلاته ووفاته:**

رحل ابن خلدون بعلمه إلى مدينة بسكرة حيث تزوج هناك، ثم توجه سنة 1356م إلى فاس حيث ضمه أبو عنان المريني إلى مجلسه العلمي واستعمله ليتولى الكتابة مؤرخا لعهده وما به من أحداث، وقدر لابن خلدون رحيل آخر عام 1363م إلى غرناطة ومن ثم إلى إشبيلية ليعود بعد ذلك إلى بلاد المغرب، فوصل إلى قلعة بني سلامة (مدينة تيارت الجزائرية حاليا) وأقام بها أربعة أعوام، وأثناء هذه العزلة في قلعة بني سلامة ألف مقدمته المشهورة

[1] بن فرج الله بخته، اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة لحمة لخضر – الوادي، العدد مارس 21،2017، ص9.

[2] أبو عمران الشيخ، معجم المشاهير المغاربة، مرجع سبق ذكره، ص 192.

التي تعتبر الجزء الأول من كتاب (العبر) ثم احتاج إلى التحقيق والتنقيح في المصادر فرغب في العودة إلى تونس مقر آبائه وأثارهم ، وحل بتونس سنة 780هـ (1378م).

جاب معظم البلدان العربية، حيث أقام في الأندلس ومصر وبلدان المغرب العربي وزار الحجاز وبلاد الشام. عاش حياة متقلبة بين النفوذ والاضطهاد وبين القصور والسجون فكانت حياته زاخرة فعلا وعملا. نشأ في أسرة علم وكان أبيه ملتقى للعلماء وأهل السياسة فاكتسب حب العلم والبحث وحب الجاه والمنصب.

ولم يتوقف نشاطه بعد مغادرة بلدان المغرب للإقامة بالقاهرة، بل كان ينتقل بينها وبين الحجاز للحج، والقدس لزيارة المقامات ودمشق[1].

وبينما كان ينتظر لحاق أهله من تونس فجع بخبر غرقهم في عاصفة بحرية "وذهب الموجود والسكن والمولود" كما قال. فعظم مصابه ومال إلى الزهد وأشفق عليه السلطان فترك منصب القضاء وعكف على تدريس العلم والقراءة وقضى بقية حياته في العبادة إلى وافته المنية بالقاهرة في 25 رمضان عام 808هـ الموافق ل 17 مارس 1406م[2].

- **نشاطه وشخصيته:**

تقلد ابن خلدون في حياته عدة مناصب عليا، فعمل سفيرا وحاجبا وعضوا بمجلس العلماء والقضاء عند عددا من السلاطين في تونس والجزائر والمغرب واسبانيا، كما أنه أيضا تعرض للنفي والإقصاء والعزل وحتى السجن، فقد سجن في المغرب لوحدها مدة عامين.

---

[1] بن فرج الله بخته، اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية، مرجع سبق ذكره، ص9.

[2] أبو عمران الشيخ، معجم المشاهير المغاربة، مرجع سبق ذكره، ص 193.

لهذا لم ينعم بالهدوء والاستقرار سوى أربع سنوات قضاها في قلعة ابن سلامة (أو بني سلامة في الجزائر) 1375- 1378م بعيدا عن شواغل السياسة، وكانت هذه العزلة أخصب فترات حياته في الإنتاج العلمي وقد أنهى فيها تأليف مؤلفه المعروف بالمقدمة خلال خمسة أشهر قضاه في التأمل والكتابة وهي الكتاب أو المجلد الأول ضمن أشهر كتبه، كتاب: "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" الذي يقع في سبعة مجلدات[1].

يعتبر ابن خلدون من أشهر الفلاسفة الذين برزوا في المغرب الإسلامي أمثال ابن باجه (المتوفي عام 533هـ- 1138م)، والفيلسوف الصوفي محي الدين ابن عربي (المتوفي638هـ - 1240م)، حيث تعتبر المقدمة، أهم انتاج علمي في العصر الإسلامي الوسيط، وتعد ابتكارا فريدا في فلسفة التاريخ والحضارة علم الاجتماع.

- **وفاته:**

توفي ابن خلدون في مصر بالقاهرة ودفن فيها عام (808هـ- 1406م)، بعد صولات وجولات عرفناها منه من خلال ما دونه عن سيرة حياته، التي كانت بمثابة رحلات علمية وسياسية، عكست خبرات وتجارب مهدت أمامه طريق التدوين والتنظير.

2. الظروف العامة التي عاصرها ابن خلدون:

لم تكن الظاهرة الخلدونية مجرد تراكم معرفي للعصور السابقة له، بل فكره يعبر عن عبقريةفذة تمكنت من الإلمام بكل جوانب التراث الإسلامي، وإبداعاته كانت مستخلصة من

[1] بن فرج الله بخته، اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية، مرجع سبق ذكره، ص10.

مشاهداته المباشرة خلال معايشته قبائل البدو في مجتمعات المغرب العربي، "فهو فيلسوف واقعي وضعي بمعنى الكلمة، فكل انتاجاته الفكرية في علم العمران البشري والاقتصاد والتاريخ والسياسة والتربية وغيرها من المجالات كانت صورة صادقة، وثمرة ملاحظاته التي جمعها والخبرات التي اكتسبها خلال إقامته بين العشائر البدوية وممارسته لنشاطه السياسي"[1]، مع العلم أن "ابن خلدون" عاش فترة زمنية اتسمت بالتراجع الفكري وتهميش العقل ونهاية الخلافة الإسلامية، وبداية التفكك والاضطراب في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، حيث ظهرت العشرات من الإمارات المستقلة والمتصارعة والمتكالبة فيما بينها، فقد خرجت الأندلس في عصر"ابن خلدون" من حوزة المسلمين إلامنطقة صغيرة منها لبني الحمر و

كانت تشمل غرناطة والمرية وجبل الفتح،أي الامتداد المسيحي، أما بلاد المغرب فقد كانت مقسمة إلى ثلاث دول: دولة بني مرين(الدولة المرينية)[2] في المغرب الأقصى وعاصمتها فاس، ودولة بني الواد(الدولة الزيانية)[3] في المغرب الأوسط، وعاصمتها تلمسان، ودولة بني حفص(الدولة الحفصية)[4] في المغرب الأدنى وعاصمتها تونس، كانت هذه الدول متصارعة

1جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية،ص 546.

2الدولة المرينية: قامت بعد انهزام الموحدين من طرف تحالف ممالك البرتغال والأسبان، التي شكلت نقطة تحول حاسم في تاريخ المسلمين في الأندلس وانحصر دور الموحدين في قيادة المغرب، وصاحبه انتشار الفوضى

3الدولة الزيانية(1236–1554): سلالة زيانية، اسمها نسبة إلى يغمرا سنبن زيان، وقد كان الزيانيون ولاة للجزائر من قبل الموحدين وعندما ضعف أمر الموحدين انفصلوا عن المغرب الأوسط.

4الدولة الحفصية: مؤسسها أبو زكريا يحي الحفصي، تمكن من تأسيسها عندما كان واليا من قبل الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى، التي كانت البلاد التونسية تابعة لها، اغتنم ضعف الدولة الموحدية فأعلن الاستقلال وتأسيس الدولة الحفصية سنة 1229.

فيما بينها، وكانت كل الدولة تتسع و تتقلص، وكان أفراد الأسرة المالكة يتنافسون فيما بينهم فيحارب بعضهم بعضا، وكان هؤلاء يستعينون بالعشائر البدوية للوصول إلى الحكم. أما العالم الأوروبي فقد كان خلال هذا العصر على وشك الانتقال من أواخر القرون الوسطى إلى أوائل عصر النهضة، كما أن ابن خلدون كان معاصرا ل "جون فرواسار"[1] في فرنسا، ولأبن بطوطة(1304-1377م) ولسان الدين الخطيب(1313-1374) في البلاد العربية، وليس بين ولادة "ابن خلدون" ووفاة الشاعرالايطالي " دانتي"(1285-1321) إلا 11 سنة، وهذا دليل على عصر ابن خلدون لم يكن خاليا من أعلام الفكر، إلا أن عبقريته فاقت جميع ما كتب في عصره.**(1)** و قد ترك" ابن خلدون" مؤلفات منها: رسالة في المنطق و أخرى في الحساب، تلخيص لبعض كتب ابن رشد، و شرح لقصيدة البردة، و تلخيص لكتاب"المحصل" للإمام فخر الدين الرازي، و لم يذكر هذه المؤلفات "ابن خلدون" في كتاب "التعريف" الذي هو ترجمة حياته، و لم يصل إلينا منها شيء، على أن "ابن خلدون" تحدث عن كتاب أخر في وصف بلاد المغرب ألفه في دمشق وقدمه إلى تيمور، وأشهر مؤلفاته والتي وصلت إلينا كتاب "العبر" الذي يحتوي على قسمه الأول"المقدمة" وقد بقي هذا المؤلف مجهولا عند الأوروبيين إلى غاية القرن 19م، بعد أن طبعت سنة 1857 بمصر، وباريس سنة 1858م على يد المستشرق(كاترمير)، ثم ترجمت إلى اللغة الأوروبية، أولها الترجمة الفرنسية وهي

1 جون فرواسار (1337-1410م):رجل دين و شاعر،و مؤرخ، يعتبر أحد مؤرخي العصور الوسطى.

ترجمة دوسلان سنة 1862م، ثم إلى البرتغالية سنة 1958م ثم الانجليزية سنة 1958 ثم توالت الترجمات الأخرى[1].

في الأخير يمكن اختصار حياة ابن خلدون في هذه النقاط الهامة:

- الرغبة في تعلم العلوم الدينية والعبر الدينية في طفولته وشبابه بدعم من والده، لذلك قطع شوطا كبيرا في تحصيل العلوم، حيث حفظ القرآن الكريم على القراءات السبع.
- أخذ إجازته الأولى والثانية من الحديث والفقه وألم بكتبهما.
- بنفس القدر الذي سطع فيه نجمه في العلوم الدينية والأخلاقية من خلال حلقات الدروس والمجالس العلمية، نزعت نفسه إلى المزيد فكانت خبراته تتجاوز ذلك بدراية كبيرة بشؤون الحكم والمجتمع وهذا هو الدافع الى بروزه كمؤلف.
- حاول ابن خلدون الوصول إلى المناصب العليا من خلال التقرب من السلاطين والأمراء، فنال المناصب العليا وشغل الدواوين وجالس الأمراء والسلاطين وحظي بمقربة وحب من طرف العديد منهم فكان صاحب اسرار العديد منهم.
- تنوعت مسيرة حياته بين حلاوة السلطان ومرارته، بين المنصب والمقربة وبين السجن والنفي والفرار، بين المديح والعطف.

1جميل صليبا، المرجع نفسه"تاريخ الفلسفة العربية" ص 553.

- تكونت لديه مجموعة من الخبرات والتجارب، كانت بمثابة النبع الغزير الذي استمد منه الآراء والنظريات في بناء الصرح التاريخي والعلمي الذي خلفه لنا من خلال مؤلفاته القيمة وعلى رأسها المقدمة.
- تنوعت رحلاته بين دول المغرب العربي من تونس (إفريقيا آنذاك) إلى الجزائر (بسكرة، قسنطينة، بجاية) إلى المغرب، ثم في النهاية إلى مصر والتي من خلالها قام برحلاته المشهورة إلى الحجاز وإلى فلسطين (القدس) وإلى سوريا (دمشق) والتي كانت آخر رحلاته.
- عاد إلى مصر (القاهرة) توفي ودفن فيها عام (808هـ- 1406م)، تاركا وراءه رصيدا علميا جديدا ومتنوعا مازالت الأجيال من كل الشعوب والأمم تتناقله، فمرات تتخذ منه مرجعا تبني على أسسه، ومرات أخرى يكون محل التحقيق والنقد.

ختاما:

يقول الدكتور محمود عبد المولى: "إن ابن خلدون، الذي يعتبر ابن القرن الرابع عشر الميلادي، قد تجاوز عصره بفكره الجبار ذي الطبيعة التركيبية والاطلاع الواسع، والذي قال فيه أرنو لندتوينبي: "أنه تصور وصاغ فلسفة هي لا شك أعظم نتاج أبدعه أي ذهن، في أي عصر، وفي أي بلد" ... ومن المؤسف، أن هذا المفكر الرائد، مازال، مجهولا عند جل المثقفين العرب، وإن كانوا يرددون عنه صفات ومزايا كثيرة، ولكن دون إدراك موضوعي لأهمية آرائه ونظرياته، وسبقها لأحدث النظريات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية

وخاصة معاصرة فكره وتحليلاته لأهم القضايا والمشكلات التي تواجه اليوم بلدان العالم الثالث، والوطن العربي جزء منه"[1].

المحاضرة الثانية: التعريف بالمقدمة المؤلف الشهير لابن خلدون

من خلال الاطلاع على المؤلف يلاحظ أهمية ضرورة التزام الترتيب في وضع العوامل المؤثرة، لأن الترتيب هنا هو مقصود وليس مجرد تقنية للجمع، وهو يعكس مدى أولوية العامل وحجم.

أهم ما قامت به مقدمة ابن خلدون هو انها عالجت قضايا تبدو للقارئ السطحي موضوعاتٍ مجزأة، لكنها للباحث المتعمق موضوعاتٌ منسَّقة ومرتبة تغذِّي الروافد الثلاثة (السياسة – التاريخ – الاجتماع)، وتُخضِعها لقوانينَ يصل بها ابن خلدون إلى المستوى العضوي البيولوجي، لكنه يعود فيعطيها بُعْدَها الاجتماعي البشري، الذي يبتعد بها قليلا عن الحتمية والجبرية.

وفي إطار هذا تعالج المقدمة الأجزاء والموضوعات التالية:

1- الديباجة:

وفيها يذكر ابن خلدون أنه طالَعَ كتب المؤرخين فوجدهم: "لم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال، ولم يراعوا ولا رفضوا ترَّهات الأحاديث ولا دفعوها؛ فالتحقيق قليل، وطرْفُ التنقيح

1محمود عبد المولى، ابن خلدون وعلوم المجتمع، الدار العربية للكتاب، ليبيا –تونس، 1980، ص ص 8-9.

في الغالب كليل"، فوضَعَ هذا الكتاب الذي يصف منهجه فيه قائلاً: "وسلكت في ترتيبه وتبويبه واختراعه من بين المناحي مذهبًا عجيبًا، وطريقة مبتدعة وأسلوبًا، وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يَعْرِض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ما يمتِّعك بعللِ الكوائن وأسبابها، ويعرِّفُك كيف دخل أهلُ هذه الدول من أبوابها؛ حتى تَنْزِعَ من التقليد يدَك، وتقفَ على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك."

وهذه الديباجة لا تعدو أن تكونَ (مقدمة) للمقدمة بالمعنى المعروف للمقدمات، من شرح المنهج، ومن بيان الجديد الذي يعتقد الكاتبُ أنه يضيفه، وأسباب التأليف، ومنهجه الجديد.

2- مقدمة: في فضل علم التاريخ، وتحقيق مذاهبه، والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام، وذكر شيء من أسبابها.

الكتاب الأول: ويتكون من:في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب.

الباب الأول: في العمران البشري على جملة، وفيه ست مقدمات:

الأولى: في أن الاجتماع الإنساني ضروري.

الثانية والثالثة والرابعة والخامسة: في قسط العمران من الأرض، وفي الأقاليم، وتأثير الهواء في ألوان البشر، وأخلاقهم، وشؤون معاشهم.

والسادسة: في الوحي والرؤيا، وفي أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة أو الرياضة، وفي حقيقة النبوة والكهانة والعرافة.

الباب الثاني: في العمران البدوي، والأمم الوحشية والقبائل، وما يعرض في ذلك من الأحوال.

3- الكتاب الثاني: ويتكون من:

الباب الثالث: وهو في الدولة العامة، والملك والخلافة، والمراتب السلطانية، وفيه كلام عن نشأة الدول، وتطورها قوة ثم ضعفًا، مع بيان أنه "إذا تحكمت طبيعةُ الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدَّعة، أقبلت الدولةُ على الهرم؛ وذلك أن للدول أعمارًا طبيعية كما للأشخاص، وعمر الدولة "لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال؛ لأن الجيل الأول لم يزالوا على خُلق البداوة وخشونتها وتوحُّشها؛ من شظف العيش، والبسالة، والافتراس، والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك سَوْرة العصبية محفوظةً فيهم؛ فحسُّهم مرهف، وجانبهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون... والجيل الثاني تحوَّل حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به، وكسل الباقين عن السعي فيه... وأما الجيل الثالث، فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من مَلَكة القهر، ويبلغ منهم الترف غايته، فيصيرون عيالاً على الدولة، وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة.

الباب الرابع: في البلدان والأمصار وسائر العمران، وما يعرض في ذلك من الأحوال. وفيه سوابق ولواحق.

الباب الخامس: في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع، وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه مسائل.

3. **الكتاب الثالث: ويتكوَّن من:**

الباب السادس: في العلوم وأصنافها، والتعليم وطُرقه وسائر وجوهه، وفيه يصف العلم والتعليم بأنهما شيء طبيعي في العمران البشري، وأن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران، وتعظم الحضارة، ويضرب لذلك مثلاً بحال "بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة، لما كثُر عمرانها في صدر الإسلام، واستوت فيها الحضارةُ، كيف زخرت فيها بحار العلم، وتفننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم، واستنباط المسائل والفنون، حتى أربوا على المتقدمين، وفاتوا المتأخِّرين، ولما تناقص عمرانُها واذعرَّ سكانُها، انطوى ذلك البساط بما عليه جملة، وفُقِد العلمُ بها والتعليم، وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام".

يمكن أجمال المقدمة في النقاط التالية:

- إن هذه المقدمة إنشاء لعلم جديد، سماه ابن خلدون: "العمران"، وأطلق عليه بعضهم تجاوزًا: "الاجتماع"، وهم كثيرون جدًّا، وبعضهم حاول ربطه بفلسفة التاريخ، فيما

حاول البعض مثل الدكتور (محمد محمود ربيع) صاحب كتاب: "النظرية السياسية لابن خلدون"، وبدرجة ما (محمد عابد الجابري) وغيرهما؛ حاولوا ربطه بعلم السياسة.

- إن العلم الذي يمكن أن تكون المقدمة تعبيرًا عنه بدرجة أكبرَ من كل هذه العلوم هو علم (الحضارة)، أو فلسفة الحضارة، وإنه ذلك العلم الذي ينظم العلوم السابقة وغيرها بطريقته الخاصة، وأسلوبه المتميز، وهو العلم الذي سماه ابن خلدون: (العمران).
- جاء مؤلف ابن خلدون هذا كمؤلف كان الغرض منه الالمام بالكتب التي تناولت التاريخ والتأريخ قبله، لكن انفرد من حيث أنه راح يتحدث عن التاريخ من ناحيته الحضارية (أنه حضارة) لأمة تنمو وتزدهر في عصور وترقى لفترة الازدهار ثم بعد ذلك تذبل وتسقط في عصور من الانحلال.
- انفرد ايضا من حيث انه صاغ التاريخ (وتأريخيه للأحداث) في صياغة اجتماعية في إطار نظرية العمران، التي ابتدعها، ووصل بها إلى مرحلة الابداع الفكري.
- نظرية العمران التي ابدعها ابن خلدون كانت مقدمة لظهور علم الاجتماع حاليا.
- يتضح من فكره أنه مولع بالتحليل، والاستقصاء، وصاحب ابداع وموسوعي، حيث انه يأتي بالأدلة لتأييد ودعم وجهة نظره (الاقناع).
- لم يحدث ابن خلدون حين معالجته لفترات معيشه انقطاعا بالأزمنة والأحداث السابقة، بل كان يسعى لربط الماضي بالحاضر محاولا إبراز ذلك في الأحداث الآنية واللاحقة.

- جاءت المقدمة لتعكس لنا الفكر العقلاني الاستيعابي لابن خلدون من حيث أنه استطاع أن يكتب ويجمع بين علوم شتى : الاقتصاد، الاجتماع، التاريخ، التربية، العلوم الدينية، وغيرها من العلوم.

ختاما يمكن القول:

أن مؤلف ابن خلدون (في القرن الرابع عشر ميلادي) لا يعلن فقط عن ظهور الفكر التاريخي العلمي، "بل إن هذا المفكر العربي، قد وصل إلى أعلى قمم الفهم الممكن لقوانين تطور المجتمع في عصره واقترب من كشف الكثير من القوانين الهامة للتطور الاجتماعي، وبإمكاننا ان نقطع بأن ابن خلدون هو المنشئ الأول لعلم الاجتماع رغم ما يزعمه الغرب في نفي هذا، فهو الذي بحث في مواضيع العمران البشري والاجتماع الانساني بظواهره المختلفة واستنتج منها، إلى حد الحدس والتنبؤ العلمي، قواعد عامة بمثابة قوانين العمران."[1]

[1] محمود عبد المولى، ابن خلدون وعلوم المجتمع، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1980، ص 118.

المحاضرة الثالثة: النزعة الخلدونية في الفكر المعاصر

(توظيف الفكر الخلدوني بين النزعة العلمية والنزعة الايديولوجية)

الجزء الاول

تلعب التغيرات العميقة التي تطبع التاريخ دورا هاما بل وتفرض رؤى جديدة وبالتالي طريقة خاصة إن لم تكن جديدة في كتابة وتدوين الأحداث.

1. بيئة ابن خلدون أساس نزعته العلمية:

"ولا شاهد أبلغ من هذا، عند ابن خلدون، من ظاهرة الانتشار البدوي التي مارست طيلة العهد الوسيط تأثيرا هو الطاعون الأسود ذو الآثار التخريبية الفادحة"[1]. هكذا حدثين منحا بيئة ابن خلدون تشكيلا سكانيا وسياسيا واقتصاديا وحتى بيئيا متبدلا، لذلك لم يكن باستطاعته اغفال أهمية التدوين. وهذا ما نلمحه من خلال قول ابن خلدون: "لقد احتاج هذا العهد، من يدون أحوال الخليقة والآفاق وأجيالها والعوائد والنحل التي تبدلت لأهلها..."[2]، أي انه احتيج لمؤرخ يفرج طاقاته وإمكاناته في عملية وصف الحالة العامة في تلك الفترة.

يعتبر القرن الرابع عشر قرن انهيار حضارة وصعود حضارة أخرى، حيث شارفت الحضارة الإسلامية على الانهيار والانحطاط لتكون الحضارة الأوربية على وشك الصعود والظهور حيث بدأت ملامحها، وهي ما يعرف بالنهضة الأوروبية، لقد عاش وعايش ابن

---

[1] سالم حميش، الخلدونية في مرآة فلسفة التاريخ، ص 111.

[2] ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 1981، ص43.

خلدون هذه المرحلة خاصة مرحلة انهيار الحضارة الاسلامية فأرخ لها، وكتب ما قد لاحظه من تقلبات المجتمع الاسلامي، وما كان يحدث من حركية في الدول والأمصار وخاصة دول الاندلس والمغرب العربي، فان انتاجه معبرا صادقا معللا ذلك بما يتماشى والمناهج النقلية والعقلية، فبنى فلسفة قائمة على الواقعية والتبريرية، فاتسمت أفكاره بالشمولية من جهة وبالتخصيص من جهة أخرى، ومنها ما قاده ذلك إلى ظهور علوم وفنون مثل العمران البشري والذي يقال عنه أنه فلسفة الحضارة ومنها عالج ما يتعلق بالإنسان في اقتصاده وفي سياسته وتجمعه وأمنه وتعليمه... وغيرها من الاشكالات التي عمد إلى تسليط الضوء عليها من خلال البحث والدراسة فيها.

"ولعل ثقافة ابن خلدون التي جمعت بين الثقافة الاسلامية والثقافة اليونانية أو العقلية، إنما تكون قد ساهمت بشكل كبير في تنوعه الفكري والجدية التي اتسمت بها أفكاره"[1]

من الواجب على كل باحث أو دارس لإرث ابن خلدون أن يكون حريصا على دراسته ودراسة فكره في إطاره الأصلي "من خلال إطار تجربته وظروف عصره، وعلى ضوء الثقافة التي عرف منها، فإن هذا لا يعني اننا نعتبره فكرا ميتا مقطوع الصلة باهتماماتنا ومشاغلنا الراهنة، إن الفكر الخلدوني هو فكر فلسفي، والفكر الفلسفي الأصيل يتجاوز عصره بمقدار ما هو نتاج هذا العصر نفسه، إن مقدمة ابن خلدون هي باجماع الباحثين تراث انساني قيم مازال رغم كل ما كتب عنه، في مزيد الحاجة إلى الدراسة والتحليل، ليس لأن هذا التراث

[1] رابح مراجي، ابن خلدون وفلسفة التاريخ، فلسفة التاريخ –جدل البداية والنهاية والعود الدائم، تأليف مجموعة من الاكاديميين العرب ، دار الروافد الثقافية، ابن النديم، ط1، 2012، ص 101.

الثمين يعكس بقوة وعمق خبايا وتفاصيل أهم وأخطر حقبة من التاريخ العربي الإسلامي وحسب، بل لأنه يعكس أيضا، ولربما بنفس الدرجة من القوة والعمق جانبا مهما من جوانب وقعنا العربي الراهن، هذا الواقع الذي تتواجد فيه جنبا إلى جنب بنيات القرون الوسطى، والبنيات الجديدة التي خلفها عالم اليوم"[1] .

لقد أدرك ابن خلدون وكان واعيا أكثر لحقيقة الفترة التي قدر له العيش فيها، بحيث استوعب خطورة الاحداث التي عرفها العالم العربي والاسلامي، "لقد انتبه بعبقرية إلى ذلك المنعطف التاريخي الخطير الذي قدر له أن يعيشه ويتقلب في مساره ومعارجه، والذي كانت دلائله تشير كلها إلى أن شمس الحضارة العربية الاسلامية آخذة في الأفول"[2] .

الكثير من الباحثين والدارسين يرون ان ابن خلدون حاول ان يفلسف التاريخ الاسلامي، وهي محاولة فريدة، ربما لا نجد لها مثيلا خاصة في تراثنا العربي الاسلامي الفكر يعلى ضخامته، وبالتالي يكون ابن خلدون انفرد لنفسه بتصور خاصا به للتاريخ الاسلامي ومسيرته من خلال ظروف تجربته ومعيشته، مستمدا أكثر على وقائع عصره وأحداث ومعطيات اجتماعية وتاريخية للمجتمعات التي عاش فيها وعايش أهلها ودرس أحوالها.

[1] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ص10.

[2] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ص10.

ولذلك بات من الضروري لفهم النظريات الخلدونية على حقيقتها، استجلاء الظاهرة الخلدونية بكامل أبعادها، إن تجربة ابن خلدون السياسية والاجتماعية والعلمية ونظرياته في هذه الميادين نفسها، جانبان متكاملان يشرح احدهما الآخر ويتممه.

الظاهرة الخلدونية ممارسة اجتماعية ومعاناة نفسية، والنظريات الخلدونية تعبير عن تلك الممارسة وتفجير للطاقات التي جندتها هذه المعاناة، الظاهرة تكشف عن مسائل النظرية، والنظرية توضح أبعاد الظاهرة، والجانبان معا مظهران لحقيقة واحدة، تشكل جوهر التجربة الخلدونية، هي امتزاج الفكر بالممارسة امتزاجا قويا خاصا، هو سر عبقريته ومنبع أصالته وإلهامه.

تابع المحاضرة الثالثة: النزعة الخلدونية في الفكر المعاصر

(توظيف الفكر الخلدوني بين النزعة العلمية والنزعة الايديولوجية)

الجزء الثاني

لما أكمل ابن خلدون تأليف مؤلفه "المقدمة"، والتي من خلالها وضع أسس قيام علم جديد ، أطلق عليه "علم العمران" كان ينتظر أن يكون له تأثيرا ويبعث على ردود حوله ممن يأتي من بعده.

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون عن علمه الجديد أنه كانت له إرهاصات قبلية كباقي العلوم المسبقة، حيث ذكر أنه استفاد من العديد مما كتب قبله والتي كانت عبارة عن بحوث متفرقة غير مكتملة المعالم، لكنه أبدع من حيث جعلها أصلا لعلمه الجديد ففصل إجمالها واستوفى بيانها وميزها عن غيرها من مسائل العلوم الاخرى.

آملا –ابن خلدون– أن يتم التوسع والتحقيق والتدقيق في مؤلفه وتصليح اخطائه وتصويبها من طرف العلماء والمتخصصين الذين يأتون بعده، كما حدث لجميع العلوم التي أسست من قبل. فيقول في هذا: "فإن كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنضاره وأنحاه، فتوفيق من الله وهداية. وإن فاتني شيء في إحصائه، واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق إصلاحه، ولي الفضل لأني نهجت له السبيل واوضحت له الطريق، والله يهدي لنوره من يشاء".

يقول مالك بن نبي: "إن فاعلية فكرة من الأفكار أو معرفة من المعارف إنما ترتبط بقيام ظروف اجتماعية واقتصادية ونفسية خاصة تعينها على التخمر والانتشار والتأثير... فإن فاعليتها ذات علاقة وظيفية بطبيعة علاقتها بمجموع الشروط النفسية والاجتماعية التي ينطبع بها مستوى الحضارة في المجتمع... ومن أمثلة ذلك أن تراث ابن خلدون قد ظهر في العالم الاسلامي، وهو مع ذلك لم يسهم في تقدمه العقلي والاجتماعي، لأن هذا التراث... كان يمثل فكرة لا صلة لها إطلاقا بالوسط الاجتماعي".

هنا نطرح السؤال التالي: هل أن العلم الجديد الذي ابتكره ابن خلدون قد توسع وانتشر كما طمح صاحبه أم العكس هو الذي حدث؟

يرى البعض أن منطلق الفكر الخلدوني في المقدمة هو منطلق علمي لأنه مادي، وبالفكر الخلدوني ابتدأ الفكر العلمي في تاريخ الفكر العربي، لا سيما في حقل الفكر الاجتماعي أو العمراني وفي حقل الفكر التاريخي. نبدأ بالأول من هاذين الحقلين، ونورد هذا النص الذي يحدد المعالم الأساسية للقفزة العلمية التي قام بها الفكر الخلدوني في هذا الحقل.

"إن ابن خلدون لم يكن ذلك الملاحظ الذي ينقل إلى دفاتره ما يشاهده، تحت عدسة مجهره دون تحليل أو تعليل، ولم يكن صاحب "المقدمة" ذلك الكاتب الذي يحدثنا عن تجربته في شكل "يوميات" أو "اعترافات"، ولا كان ذلك "العالم العلامة" الذي يس ود المجلدات بما ينقله من أحاديث الأولين، أخبارا وفكاهة، وحكمة موعظة... ولم يكنفكر ابن خلدون جدولا

من جداول مدرسة فكرية معينة، واضحة الأصول محددة الإطار... كلا، إن فكر ابن خلدون أكثر من ذلك وأعمق" (محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، 17).

في حين يرى البعض أنه تم توظيف التراث الخلدوني توظيفا ايديولوجيا، وذلك من طرف عديد المفكرين في العصر الحالي، حيث وغالبا ما تكون غايتهم ليست دائما معرفية خالصة، وابن خلدون ليس ليس في أعمالهم سوى ذريعة للدعوة إلى قيم جديدة وإلى ممارسات تقطع مع الماضي المتنكر من وجوه عدة للديمقراطية والعقلانية والتقدم، وما إلى ذلك.

"لقد استنطق الرجل تجربة العصر، وتجربته الشخصية معا، واستفتى أحداث التاريخ، وآراء من دخلوا التاريخ، من باب الفكر الواسع، فصاغ من ذلك كل آراء ونظريات، قديمة كأجزاء، جديدة ككل" (الجابري،17).

في الأخير يمكننا القول أن فكر ابن خلدون وكل ما أبدعه من أفكار وآراء وعلوم، لا يفهم إلا من خلال النظر إليه ككل، ولكن لما كان الكل لا يفهم حق الفهم، إلا من خلال فحص وتتبع أجزائه، والانتباه إلى مدى ترابطها بعضها ببعض، وجب البدء من الأجزاء نفسها وفي الوقت نفسه الاحتفاظ بوحدة الكل وسماته ولكن كثيرا ما نرى أن العديد من دارسي ابن خلدون ومنجزاته العلمية، أنهم يقومون بعزل الظروف والأحداث (تغييب الزمان والمكان) والقيام بالحكم عليه وعلى نزعته العلمية.

المحاضرة الرابعة:الخلدونية وعلم العمران

يقول الدكتور عمر فروخ: ليس ابن خلدون فيلسوفا اجتماعيا فحسب، بل هو " عالم اجتماعي وواضع علم الاجتماع، على أسسه الحديثة لم يسبقه إلى ذلك أحد، ثم إن علماء الذين جاءوا بعده من الغربيين أنفسهم كانوا دائما مقصرين عنه في بعض النظريات الاجتماعية أو غافلين تمام الغفلة عن عدد من قوانين العمران التي استخرجها هو في القرن الثامن هجري (14 للميلاد)، ولما أطل القرن التاسع عشر الميلادي وعرف علم الاجتماع في أوروبة وأميركة أدرك علماء العصر الحديث قيمة الآراء الصائبة وطرافة الأحكام الشاملة وبعد نظر ثاقب في ما بسطه عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمته المشهورة"[1].

1. العمران البشري:

لا خلاف على أن التاريخ وعلم الاجتماع يختصان بدراسة الانسان، ولكن كل واحد منهما يهتم به من زاويته أو رؤيته الخاصة، لكن هذا يكشف لنا على أن بين العلمين علاقات، وهي لا تنطوي على نقاط الاتفاق فقط، وإنما أيضا على نقاط الاختلاف، "إن التاريخ لا يمتاز بدراسة موضوع خاص، فهو يشترك في ذلك مع علم الاجتماع وموضوع دراستهما، إنما هو الظواهر الاجتماعية، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون عندما تعرض لحقيقة التاريخ بقوله: "إنه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة

[1] عمر فروخ، الفلسفة العربية، ص 284– 285.

ذلك العمران من الاحوال مثل: التحوش والتأنس... وما ينتحل البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع"[1]،

لم يكن اهتمام ابن خلدون بالتاريخ من أجل التسلية او مجرد علم بتفاصيل الأحداث والوقائع الماضية، بل كان يسعى إلى استنطاق التجارب الانسانية والاستعانة بها على فهم الحاضر (فهم الحاضر على ضوء الماضي)،وبهذا وصل إلى نقطة الاستفادة من التاريخ باعتباره مخبر ومخزن التجارب الانسانية، موضحا أن التاريخ غايته اسخلاص الدروس والعبر التي تساعد على فهم الحاضر وادراكه من خلال اكتشاف القوانين التي تتحكم في مسيرة التاريخ والاجتماع البشري معلنا عن اكتشافه لعلم جديد أطلق عليه اسم: علم العمران البشري، وقد رأى ابن خلدون في الرجوع إلى العمران البشري وما يعرض له، معيارا صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه.

2. ماذا نقصد بالعمران؟ وماذا يدرس؟

- العمران ضد الخلاء، وهو من العمارة والتعمير. ويقصد به ابن خلدون الاجتماع البشري الذي يتم ب"التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم (البشر) من التعاون على المعاش.

[1] جمال الدين بوقلي، قضايا فلسفية، ص 534.

- من العمران ما يكون بدويا وهو سكني الضواحي والجبال والحلل المنتجعة في القفار وأطراف الرمال. ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالأمصار والمدن والقرى والمداشر للاعتصام بها والتحصن بها وبقلاعها.
- يقصد ابن خلدون ب"العمران البشري" الحياة الاجتماعية وما ينتج عنها أو يرافقها من مظاهر اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية.. إلخ.
- وهذا العمران لا يكون تاما إلا إذا قامت فيه الدولة، "العمران دون الدولة والملك متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي إلى الوازع..." أما الاجتماع البشري الذي لا يؤدي إلى قيام دولة فيه فهو عمران ناقص.
- علم العمران يدرس كل ما يحدث في العمران البشري، التام بالخصوص، من ظواهر خاصة به مثل التوحش والتأنس والعصبيات والملك والدول... على أن المهمة الرئيسية لعلم العمران هي البحث في عوامل قيام الدول وسقوطها وأسباب تعاقبها وتزاحمها[1].

3. المنهج العلمي عند ابن خلدون:

إن الشيء الجديد الذي أتى به ابن خلدون يكمن في موضوع البحث الذي هو: العمران البشري، كما يكمن في الطريقة والمنهج التي عرض بها دراسته:

نجد ابن خلدون في هذا الشأن يقول: "وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا، واخترعته من بين المناحي مذهبا عجيبا، وطريقة مبتدعة وأسلوبا"[1].

[1] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدن العصبية والدولة، ص 298.

كان اهتمام ابن خلدون منصبا على المسائل الاجتماعية والتاريخية وكان يراها ميدان العقل التجريبي، بحيث لم يكن يؤمن بقدرة العقل النظري على تصور الوجود كله على ما هو عليه، لأن ذلك من ميدان ما وراء الحس وهو ميدان ميتافيزيقي لا ترقى إليه المعرفة العقلية البشرية..حيث نلاحظ من خلال مؤلفه (المقدمة) أنه كان يتميز بالتمحيص والموضوعية والواقعية واولوية حقيقة الأمور عن مثاليتها، مستبعدا تلك الافكار البعيدة كل البعد عن التطبيق العملي بحكم الواقع.

إذن علم العمران البشري يستمد مبادئه من العقل والتجربة معا، وكمثال على ذلك نشير إلى هذه القضية التي يستند عليها ابن خلدون في الكثير من براهينه وهي أن: (الانسان مدني بالطبع أو بطبعه)، "فلا يتصور وجوده إلا في مجتمع، وأنه لا بد ليتم الاجتماع البشري من وازع يدفع عدوان بعضهم على بعض، وهو الملك والسلطان أي الدولة، وهذه القضية واقعية حياتية وليست من أوليات العقل الذي يمكن أن يتقبل نظريا أن الانسان يستطيع أن يعيش في معزل عن الجماعة"[2]

المحاضرة الخامسة: خلدونية وقضايا الدولة والاجتماع البشري

كان الاختلاف والتباين في عصر ابن خلدون وفي المجتمعات العربية، أوضح ما يكون بين حياة البادية وحياة المدينة، "فابن خلدون الذي اعتزم دراسة العمران البشري في عصره، قد ركز اهتمامه على هذه الظاهرة: ظاهرة الانقسام العمران جملة إلى عمران بدوي

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 06.

[2] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدن العصبية والدولة، ص 105.

وعمران حضري. بل يمكن القول بصفة عامة إن نظرية ابن خلدون في التاريخ الاسلامي، قائمة أساسا على دراسة هاذين النوعين من العمران، باعتبارهما الاطار الذي يتحرك فيه التاريخ"[1] . فلقد عاش ابن خلدون مدة تجاوزت الخمسة عشر سنة بين قصور الملوك والأمراء، وتولى المراتب والمناصب مما جعله يلمس عن كثب أسلوب حياة الحضارة أو المدينة، وعاش أيضا مدة تزيد عن عشر سنين قبل كتابته المقدمة بين أحضان العمران البدوي متنقلا بين القبائل لاجئا تارة، أو مكلفا بمهمة تارة أخرى، فتعرف هنا وعن كثب طبائع البدو وأخلاقهم وأسلوب حياتهم، كل هذا فتح لبن خلدون فرصة التعرف وملاحظة الفرق الشاسع بين حياة العواصم والحكام وحياة الطبقة الارستقراطية الحاكمة، وبين حياة أهل البادية والقبيلة، "فاكتشف وهو الذي يعرف أن البسيط هو اصل للمركب، والجزء أسبق من الكل بفضل ثقافته المنطقية الواسعة، واكتشف أن العمران البدوي أصل للعمران الحضري ومادة له، واكتشف أيضا، ولو أنه لم يقل ذلك بصراحة، أن أساس الاضطراب الذي عرفه عصره، هو ذلك التناقض الواسع بين "خشونة البداوة ورقة الحضارة" وهو التناقض الذي تبرزه لنا تحليلات المقدمة باعتباره العامل الأساسي في تحريك الأحداث التي عرفتها عصور التاريخ الإسلامي إلى عهده"[2] .

1. نظرية العصبية لدى ابن خلدون:

ينطلق ابن خلدون في حديثه عن العصبية وأساسها ودورها في منحي الحياة الاجتماعية وفي حركة التاريخ من فكرة "الوازع"، الذي جعله في نزلة بين منزلتي "اجتماعية الانسان وأن الانسان مدني بطبعه، وبين الطبع العدواني لدي البشر، فقال: "أخلاق البشر فيهم

[1] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ص 141.

[2] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ص 63.

الظلم والعدوان بعض على بعض، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه، امتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع"[1] .

يمكن تعريف العصبية عند ابن خلدون بأنها رابطة اجتماعية سيكولوجية –شعورية ولا شعورية– تربط أفراد جماعة معينة قائمة على القرابة المادية أو المعنوية، ربطا مستمرا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة. فالعصبية ظاهرة خاصة بالبدو لأن أحياءهم مفتوحة (عكس المدن التي تعتمد على باني مشيدة بطريقة دفاعية)، فتحتاج في الدفاع عنها إلى تكتل وتعاضد أفرادها. وقد تكون تكافلية أو اقتصادية أو دينية.

هذا وبنظر ابن خلدون هناك عصبية طبيعية لابد منها في الحماية والمطالبة والمواجهة، أما العصبية المستندة فقط إلى التعصب للأنساب والاعتداد بها فهي (عصبية جاهلية) لا فائدة فيها مطلقا، وهي المقصودة بذم الشارع للعصبية.

وبالعصبية يحصل التكافل والتماسك والتعاون داخل المجتمع ويتوفر الأمن والحصانة من أي اعتداء أو خطر خارجي كما يقول ابن خلدون "... بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم ... وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم..."[2]، وبالتالي هي الطريقة المثلى لتأسيس الملك والدولة، والملك لا يقوم أصلا بغير عصبية فهو يقوى ويضعف بها.

وأيضا تعرف **العصبية** على انها نزعة طبيعية في البشر، تعود إلى صلة الرحم، فذوي القربى والأرحام يتعاطفون و يلتحمون و يتعاضدون في أمورهم إلى أن يصبحوا شخصا واحدا، وأهل النسب الواحد يتعاضدون على دفع العدوان على أنفسهم، وكلما كانت القرابة أدنى كانت

[1] ابن خلدون، المقدمة، 422.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص 480.

العصبية أقوى، على أن العصبية عند "ابن خلدون" لا تقتصر على النسب والقرابة بالمعنى الضيق بل تشمل أيضا لحمة الحلف والولاء، لأنه قد ينتقل الفرد من نسب إلى أخر بحلف أو ولاء فيتناسى نسبه الأول، وهو يقول" اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبا منها[1]. إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له، ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام حتى تقع المناصرة والنعرة[2]. والعصبية تتفاوت من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية، فأهل البدو أشد عصبية من أهل الحضر، لذلك كانت الأمم الوحشية أقدر على التغلب من الأمم الحضرية، لأن حياة البداوة تقتضي بطبيعتها وجود عصبية قوية وعلى رأسها أفراد معروفين بالشجاعة يدافعون عنها، بينما أهل الحضر يضعون أنفسهم وأموالهم إلى من يتولى أمرهم ويسير شؤونهم. والعصبية تؤثر في تأسيس الملك(الحكم)، لأن الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب يكون بالعصبية، كما تؤثر العصبية في انتشار الدعوة الدينية بل الشرائع والديانات، لأن كل أمر يحمل العامة عليه من الناس لابد فيه من العصبية، وعندما تنتشر الدعوة الدينية تؤثر في العصبية نفسها، لأن الديانات تؤثر في قلوب الناس وتوحد ميولهم و تحملهم على التعاون والتعاضد، وتزيد في الدولة قوة على قوة العصبية التي كانت عليها. فالعرب مثلا كانوا أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض، بسبب تفرق عصبياتهم من جهة، وبسبب غلظتهم وحبهم للرياسة من جهة ثانية، وعندما اجتمعوا على ديانة واحدة وهي العقيدة

1جميل صليبا، المرجع نفسه، ص 581، 582.

2عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه"المقدمة" ص143

الإسلامية، تألفت كلمتهم واستطاعوا أن يتغلبوا على الفرس والروم، فالعصبية إذن تؤثر في نجاح الدعوة الدينية، والاجتماع الديني يضاعف من قوة العصبية[1].

2. تطور الدولة واختلاف أحوالها:

إذن وحسب ابن خلدون فإنحركة التاريخ هي حركة انتقال مستمرة من البداوة إلى الحضارة، لكن بمسار أقرب إلى الشكل الدائري منه إلى الخط المستقيم، لكنه يتم عبر الدولة، هذه الدولة التي في نظره تحمل معها منذ نشأتها بذور انهيارها وزوالها، وهذا هو حال كل الدول تنشأ وتزول لتحل محلها دول أخرى تلاقي نفس المصير في حركة تاريخية تسير بشكل تطوري لولبي.

ويعرف ابن خلدون الدولة بأنها: "كائن حي له طبيعته الخاصة، ويحكمها قانون السببية، وهي مؤسسة بشرية طبيعية وضرورية، وهي أيضا وحدة سياسية واجتماعية لا يمكن أن تقوم الحضارة إلا بها". وفي الاصطلاح القديم هي: "القوة والسيطرة والسلطان".

كما أن الدولة في اصطلاح ابن خلدون هي على العموم "الامتداد الزماني والمكاني لحكم عصبية ما"[2].

- فمن حيث الامتداد في المكان تكون الدولة عامة أو خاصة:

–الدولة العامة هي مجموع المناطق والأقاليم التي تجري عليها سلطة العصبية الحاكمة سواء كانت هذه السلطة فعلية أم إسمية فقط.

–والدولة الخاصة هي الولاية أو الاقليم الذي استقل به الوالي خارجا عن السلطة المركزية.

1جميل صليبا، المرجع نفسه، ص 583،584.

[2] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ص 290.

- أما من حيث الامتداد في الزمان فإن الدولة إما كلية وإما شخصية:

-الدولة الكلية هي مدة حكم عصبية من العصبيات، التي يتعاقب فيها الملوك واحدا بعد الآخر. إنها حكم أسرة معينة منذ استلامها الحكم إلى يوم خروجه منها (الدولة الأموية العباسية...).

-الدولة الشخصية هي مدة حكم شخص واحد ن أشخاص الدولة الكلية، مثل دولة المأمون، دولة عبد المؤمن..الخ.

كما نجد ابن خلدون يوضح أن تطور الدولة يكون على مستويين:

المستوى الأول: يتعلق بالشخص يحكم (الملك) ويكون فيه تطور الدولة بتعاقب أربعة أباء أي أربعة ملوك وهو ما يوازي 120 سنة.

والمستوى الثاني: مرتبط بالجماعة التي أسست الدولة بعصبيتها وهي الثلاثة أجيال من أهل العصبية تبدأ من الجيل المؤسس للدولة ويحدد عمر الشخص 40 سنة.

1. أطوار الدولة من النشأة إلى الزوال:

يرى ابن خلدون أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه، ويبين ذلك من خلال وصفه بمراحل قيام الدولة وتطورها من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة، ويفسر أيضا كيف تنشأ الدولة ثم تزول بالاعتماد على مفهوم العصبية، فيما يحدد هذه الأطوار الخمسة لقيام وزوال الدولة وهي كالتالي:

الطور الأول: الاستيلاء على الملك من أيدي الدولة أو الملوك السابقين بالعصبية الغالبة.

الطور الثاني: الانفراد بالحكم والاستبداد من طرف الملك على الرعية وكبح نفوذهم في المشاركة والمساهمة في الملك.

الطور الثالث: هو طور الفراغ وفيه يصبح الحاكم مستقلا برأيه تماما، ويعمل على جمع الثروات وامتلاك العقارات من خلال الجباية وفرض الضرائب والاستلاب بالقوة.

الطور الرابع: يسميه بطور القنوع والمسالمة، حيث يقلد الملك أسلافه ويفتح سبل السلام للدول وللملوك المجاورة له.

الطور الخامس: طور الاسراف واالتبذير، فيه يتم ضياع وخراب ماضي الدولة التي بناها الاسلاف أو المؤسسون الأوائل، ويميل الملك فيه إلى إنفاق الأموال على الترف والسهرات والشهوات، فتنقطع فيه الصلة بينه وبين الرعية ما يدفعهم إلى خذلانه وعدم نصرته وهنايزول أساس العصبية "وتحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه برء إلا أن تنقرض"[1].

المحاضرة السادسة: فكر الخلدوني: المعقول واللامعقول

في مقابل التوظيف العلمي للفكر الخلدوني والإقرار بمكانته العلمية، نجد بعض المفكرين الغربيين أغراهم الفكر الخلدوني، لكنهم وظفوه توظيفا إيديولوجيا يخدم نزعتهم العنصرية والاستعمارية، فبدا لهم وكأنه يقدم تعليلا مقنعا على تخلف المغرب وتعثره الدائم في أحضان اللا تاريخ، بمعنى التحليل الخلدوني للطبيعة قبائل البدو والعصبية والصراعات بين القبائل، ينفي أن يكون للمغاربة إرادة جماعية، ووعي مشترك يهيئهم إلى بناء دولة وإقامة حضارة، وقد ندد "مصطفى الأشرف" (1917-2007 كاتب و مؤرخ و عالم اجتماع جزائري)

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 544.

بالتأويلات المغرضة لهؤلاء المفكرين الاستعماريين قائلا" حاول الباحثون ذو النزعة الاستعمارية عبثا تشويه الإرث الخلدوني عبر قراءة سريعة ومتسرعة لكتاب المقدمة، فبدا لهم تاريخ المغرب وكأنه تاريخ قبائل عربية تعيش على السلب والنهب، وقبائل بربرية غارقة في النزاعات والحروب(....) ظواهر تاريخية أبوا على شرحها وتكرارها في سياق إيديولوجيا استعمارية تقوم على الهيمنة والاحتقار" وكان غرضهم هو حمل القارئ على الاقتناع بفكرة التفوق الأوروبي. ومن هؤلاء "ماسكوري" و"غوتييه" و" برتراند مرورا" و"بجان مير".

وقد تأثر بعض المفكرين العرب بهذه الايدويولوجيا الغربية القائمة على العنصرية وساروا على هذا النحو أمثال "محي الدين جندر"(باحث في التاريخ جزائري)الذي ينتقد "ابن خلدون" ويعاتبه لأنه أقر بالثنائيات "البربر في مواجهة العرب، الحضر في مواجهة البدو، صنهاجة في مواجهة زناته، ولم يعمل على تكريس فكرة وحدة الشعب وفكرة الوطن عبر التاريخ، ولا وعي غير الوعي الديني." والمؤرخ الجزائري "مبارك الميلي" اعتبره مؤرخا في خدمة الدول البربرية القائمة المرينيةوالزيانية على الخصوص، لأنه هاجمالهلاليين ونعتهم بالفساد والخراب[1].

1محمد غالم، مقال "المؤرخون الجزائريون والمرجعية الخلدونية" مجلة "إنسانيات" عدد مزدوج 65،66، جويلية–ديسمبر 2014، ص20.

المحاضرة السابعة: الفكر الخلدوني بين الرأسمال الرمزي والتراث العالمي

لما كان عصر بان خلدون هو عصر الانحطاط فان مصير أفكاره كان التغافل، لأنها انتشرت في بيئة جامدة، مصيرها كمصير حبات القمح التي يبذرها الفلاح في الأرض القاحلة، هذه الأفكار لم ترى النور إلا في القرن التاسع عشر، بعد الطبعات المتتالية لكتاب "العبر" وترجمته إلى اللغات الأوروبية، فهذا الكتاب يعتبر أعظم مصدر تاريخي لحياة القبائل العربية والبربرية في القرون الوسطى، فهو موسوعة شاملة تحدث فيها عن العلوم التي اكتشفها، كعلم والتاريخ ومنهجية البحث فيه والأسباب التي توقع المؤرخون في أخطاء، وعلم الاجتماع أو العمران البشري وطريقة البحث في الظواهر الاجتماعية القائمة المشاهدة والتجربة، والسياسة، عندما يتحدث عن الدول وأنظمتها، والاقتصاد عندما يتحدث عن أحوال المعاش للبدو الحضر، ففي القسم الأول من المقدمة يتناول خلدون فضل علم التاريخ والأوهام والمغالط التي وقع فيها المؤرخون الذين سبقوه كالطبري والمسعودي وأسباب هذه المغالط، والقواعد الوقائية التي ينبغي على المؤرخ أن ينتهجها في البحث التاريخي، والقسم الثاني يحتوي على طبيعة العمران من بدو حضر، والكسب والمعاش، والعصبيات والتغلبات للبشر بعضهم على بعض، والصنائع والعلوم، والأقاليم وتأثير الهواء و البيئة الجغرافية على ألوان البشر وطبائعه، والدول وعمرها، والملك، والتعليم وطرقه، والعلوم وأصنافها، وغيرها من الميادين كالرؤيا والنبوة، وغرضه ولم يكن تاريخيا فقط بل كان أعم من ذلك لأن التاريخ عند خبر عن الاجتماع الإنساني، بل كان يقول أنه إذا أحطنا بأحوال العمران وتعمقنا في دراسته

وكشفنا عن القوانين التي تخضع لها الظواهر استطعنا تمييز الأخبار الصحيحة عن الأخبار الزائفة، وكل أبحاثه كانت قائمة على الحس والتجربة وتعليل الظواهر بأسبابها، فكلما تحدث عن ظاهرة اجتماعية إلا و بررها بالمشاهدات و الأمثلة الحسية، بمعنى انتهج الطريقة الاستقرائية التجريبية التي تنتقل من الملاحظة الحسية للظواهر إلى القوانين العامة، وهذا الطريقة التجريبية تدل على إيمانه بأن المجتمع الإنساني يسير وفق قوانين طبيعية.

بناء على ما سبق نرى أن طريقة ابن خلدون في البحث تختلف عما سبقه من الفلاسفة، فالفارابي يتبع في مدينته الفاضلة نفس الطريقة التي سار عليها أفلاطون، فيتصور مجتمعا مثاليا لا مجتمعا حقيقيا، و"ابن سينا" يعتقد انه في وسع الفيلسوف أن يصلح المجتمع ويحقق الخير والتقدم بما يشرعه من قوانين عادلة، أما ابن خلدون يبحث في ظواهر المجتمع كما هي عليه في الواقع، ولا وجود لأحكام إنشائية و لا مثل عليا التي يجب تحقيقها في التنظيم الاجتماعي، لذلك هو فيلسوف وضعي واقعي أو وجودي، يعتقد أن الحياة الاجتماعية والاقتصادية وإمكانات البشر العقلية، وحياة الدول و مؤسساتها خاضعة للتطور، وأن هذا التطور تتحكم فيه أسباب طبيعية، وكأن للمجتمع الإنساني نظاما طبيعيا يسير عليه، إذن المسائل التي تناولها ابن خلدون تتضمن الكثير من الأصالة، وانه تجاوز عصره، وسبق كثير من العلماء بوضع أسس علم جديد هو علم العمران البشري أو علم الاجتماع، وبوضع أسس علم التاريخ، والسياسة، والاقتصاد، و في مقدمته كثير من الأفكار التي نجدها فيما بعد عند الايطالي "فيكو" والفرنسي "مونتسكيو" و"مكيافيلي" و"أوجست

كونت" والألماني"كارل ماركس" والفرنسي"إميلدوركايم" والانجليزي "داروين" وغيرهم من المفكرين. غير أن الفكر الخلدوني عند العلماء والمفكرين *المعاصرين* قد وظف بنزعتين: توظيف علمي، وتوظيف إيديولوجي.

التوظيف العلمي للفكر الخلدوني (التراث العالمي): لقد أدرك بعض المفكرين الغربيين القيمة العلمية لأفكار "ابن خلدون" بأنها سابقة لعصره، وبوؤوه، المنزلة اللائقة به، فهو مفكر مبدع، درس الظواهر الاجتماعية بعقل هادئ رصين، و أمن بمبدأ الحتمية الاجتماعية، وأسس علم التاريخ، موضوعا ومنهجا، وفسر الحوادث التاريخية تفسيرا فلسفيا معقولا، وكلامه على الكسب والمعاش والصنائع يضعه في مقدمة علماء الاقتصاد، وحاول أن يربط التطور الاجتماعي بأسباب طبيعية، وآراءه السياسية والاجتماعية قد أثرت في كثير من رجال السياسة، لقد سبق زمانه بابتكاره لكثير من النظريات التي لا تزال حتى الآن جديرة بالتقدير، وتأثيره تجاوز حدود عصره، فهو في مصاف العظماء الذين وجهوا العقل البشري توجيها جديدا، حيث لقب المستشرق النمساوي "هامر بورشتغال" ابن خلدون بمونتسكيو العرب وهو يقول"قلما وجد بين المؤلفات ما يستحق أن يترجم ترجمة كاملة مثل مقدمة ابن خلدون" و يقول "كولوزيو"" ليس لأحد أن ينكر أن ابن خلدون كشف عن مناطق مجهولة في عالم الاجتماع(,,,,) وانه سبق مكيافيليومونتسكيووفيكو إلى وضع علم جديد هو النقد التاريخي" ويقول "ناتانيل سميث"" أن ابن خلدون كشف عن ميدان التاريخ الحقيقي وطبيعته، وهو فيلسوف مثل أوجست كونت وتوماس بكل، وهربارت سبنسر، وصل في علم الاجتماع إلى

حدود لم، يصل إليها كونت نفسه في النصف الأول من القرن التاسع عشر" ويقول"قارد"" كانوا يقولون أن أول من قال بخضوع الحياة الاجتماعية لمبدأ الحتمية هو مونتسكيو أو فيكو، في حين أن "ابن خلدون" وهو من رجال القرن الرابع عشر، كان قد قال بذلك قبلهما بمدة طويلة" و يقول "توينبي" "لا شك أن مقدمة ابن خلدون أعظم عمل خلقه عقل في زمان ومكان" .

و ما يميز "ابن خلدون" هو الأصولية الدينية المعتدلة والحذاقة العلمية الخلاقة، أي كان مفكرا أصوليا معتدلا، وأثبت أن الإبداع المعرفي والعلمي ليس حكرا بأهل العلم المتحررين من سيطرة اللاهوت، بل هو مشاع لكل الفئات سواء كانوا أصوليون أو ملحدون أو جامعوا للعلم والإيمان، هذا ما أشار إليه الباحث الفرنسي المعاصر"كلودهورث" في كتابه الشهير"ابن خلدون: هل يمثل إسلام التنوير؟" حيث يقول" "ابن خلدون" يمكن أن يكون نموذجا يحتذى به بالنسبة للمثقفين اليوم، ويمكن أن يقدم لنا بديلا عن الفكر الأصولي المتطرف"[1]وبالنسبة لأبحاث ابن خلدون الاقتصادية بعث الروائي الروسي"مكسيم غوركي" رسالة لرفيقه "أنوتشين" يقول فيها" أن المفكر العربي ابن خلدون تحديدا في القرن14 م يعد أول من اكتشف دور العوامل الاقتصادية وعلاقات الإنتاج" و يطرح البروفيسور"كلودهرو" وهو أستاذ محاضر في العلوم السياسية في جامعة مونتسكيو، السؤال التالي ويجيب عنه بنفسه: هل يمكن أن نتعلم شيئا من ما قدمه ابن خلدون في القرن 14م؟ يجيب على ذلك

1جميل صليبا، المرجع نفسه"تاريخ الفلسفة العربية" ص559،560.

"نعم بالنسبة لمفكر يكثف في أعماله فلسفة أرسطو والثقافة العربية الإسلامية، ومجمل التجربة السياسية التي عاشها في الأندلس و تونس والمغرب، وذلك بروح نقدية إبداعية، عبر ما قدمه من مفهوم جديد للتاريخ و من خلال التحليل الواقعي الذي طرح فيه نشوء وسقوط الحضارات"(حبيب محمد تقي، مقال"التراث الفكري الخلدوني بعيون مفكري الغرب") وفي مؤتمر ابن خلدون الدولي الذي نظم بجامعة ابن خلدون التركية في ماي 2019م أشار رئيس الجامعة"رجب شان ترك" إلى أن العلماء العثمانيين ناقشوا أفكار ابن خلدون في وقتها، واعتبروا أرائه كالنظريات العلمية، ونحن نواجه يقول وضعا مماثلا اليوم، وهذا هو سبب وجودنا اليوم، ويقول"لا زال ابن خلدون مفيدا حتى اليوم، وما زلنا نستقي منه حلولا لمشكلاتنا التي تطرأ علينا من حين لأخر." وقد كان الهدف من المؤتمر هو استخدام منهج مؤسس علم الاجتماع ابن خلدون لفهم الواقع الحالي و دراسة الحضارة.

المحاضرة الثامنة: آفاق تطوير الفكر الخلدوني

رغم أن ابن خلدون يعتبر أحد أهم الباحثين في مجال التاريخ من خلال تدوينه للأحداث التاريخية بكل ظروفها وبأسبابها الاجتماعية والمناخية والجغرافية، وعلم العمران الذي كان بمثابة استشرف لعلم الاجتماع، ولعل الأثر الأبرز الذي تركه هذا المفكر هو كتابه المعنون ب: المقدمة الشهيرة (المختصرة لمؤلفه الضخم كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، الفاعلة، والمؤثرة، حتى اللحظة، ويعود السبب في ذلك، وفق رأي الباحثين ولدارسين لأثره، إلى أن

الأسئلة والإشكالات الهامة التي طرحها الكتاب (من خلال ملاحظاته السوسيولوجية بالمعنى الحديث للسوسيولوجيا) لا تزال هي الأسئلة المطروحة على التاريخ حتى اليوم.

وبكل تأكيد نقول أننا نرى أن الأبحاث التي صدرت عنه (التي تناولته شخصيا بالتحليل أو عالجت المقدمة)، غير كافية حتى الآن للإحاطة بجميع جوانب ومهام وأهداف ابن خلدون سواء من خلال علم العمران الخلدوني، أو من خلال نتاجاته العلمية التي تركه لنا.وهو ما يؤيده الباحث البعلي ويدفعه للإسهام في إلقاء المزيد من الضوء على نتاج هذا المفكر الكبير، كما يفعل الغرب مع مفكريه بنظرية الانتاج وإعادة الانتاج العلمي.

ابرز ما جاء بهابن خلدون أن العلم هو جمع المادة العلمية والبحث عن أسبابها وعللها لتفسيرها ثم الوصول إلى القوانين العلمية التي تتحكم فيها،وقد صرح بأنه استوعب أخبار الخليقة استيعابا كاملا، لأنه فسر الظواهر الاجتماعية وحوادث الدول بعللها، وهو يتبع في ذلك المنهج العلمي الذي يقوم على الخطوات التالية (أنظر جميل صليبا):

-ملاحظة الظواهر الاجتماعية في الشعوب التي احتك بها وخاصة البدو والحضر من المغرب العربي.

-تتبع الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره.

-تتبع أشباهها و نظرائها في تاريخ شعوب أخرى لم تتح له الفرصة للاحتكاك بها.

-مقارنة و موازنة هذه الظواهر مع بعضها البعض، و قياس الماضي بالحاضر، لمعرفة طبائعها و عللها و ما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد و الجماعات.

-استنتاج القوانين التي تسير بموجبها هذه الظواهر. و ما نستنتجه أن منهجه العلمي يقوم **ثلاث ركائز أساسية:**

أ-ملاحظات حسية: مشاهدته و احتكاكه المباشر للعمران البشري أو الشعوب التي عاشرها.

ب-التأصيل التاريخي: أي الرجوع إلى التاريخ.

ج-الاستنتاج العقلي: عمليات عقلية يجريها على هذه المواد ليستنتج القوانين التي تتحكم في الظواهر.

وبالتالي هذه هي الاسس التي يجب أن ننطلق منها لتطوير وبعث الروح العلمية والفكرية لأفضل عالم ومفكر عربي.

المحاضرة التاسعة: الفكر الخلدوني وموقفه من:

(الكمياء، علم الكلام، الفلسفة، التصوف، السحر، التراث اليوناني، ...)

إن مقدمة ابن خلدون من خير ما كتب في علوم الإنسان في العصر الذي كتبت فيه، ممثلة لأدق النظريات العلمية والاجتماعية والتاريخية والفكرية، وبمعنى آخر هي خير دليل لمن أراد الاطلاع على أحوال وصنوف وأنواع المعرفة في عصر ابن خلدون، ولعل ذلك سر بقائها بقيمتها الفكرية حتى عصرنا الراهن.

هناقبل الحديث عن موقف ابن خلدون من العلوم، نتطرق في البداية إلى تصنيفه للعلوم.

قسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين: أولهما نقلي طبيعي وثانيهما عقلي وضعي، لقد وجدنا أنه لم يقتصر على العلوم الأساسية فقط، وإنما أثبت معها ما كان مقدمة لها وضرورة، حيث إن عملية تحصيل العلوم لا يمكن أن تتم إلا بمعرفة مقدماتها، فهو يدرج العلوم التالية للعلوم الأخرى.

إن الفكرة الأساسية عند ابن خلدون هي: أنَّ ثمَّة طائفتَين من العلوم، لكلِّ طائفةٍ منها أداة صالِحة لتحصيلها، هما العلوم العقلية والعلوم النقلية. أما الأولى فأداة تحصيلها هي الحواسُّ والعقل، وأما الثانية فسبيلُها إلينا هو الوَحي. ويقَع الخلْط إذا نحن حاوَلْنا أن نستخدِم الأداةَ الأولى في المجال الثاني.

هنا يقول ابن خلدون: "اعلَم أنَّ العلوم التي يَخوض فيها البشَر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعليمًا هي على صِنفَين: صنفٌ طبيعي للإنسان، يهتدي إليه بفِكره، وصنف نَقْلي يأخُذُه عمَّن وَضَعَه. والأول هي العلوم الحِكْمية الفلسفية، وهي التي يُمكن أن يقِف عليها الإنسان بطبيعةِ فكره، ويهتدي بمَداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، وأنحاء براهينها، ووجوه تعليمها، حتى يَقِفَه نَظَرُه (أي يُطْلِعه) ويَحُثَّه على الصواب من الخطأ فيها، من حيث هو إنسان ذو فكر. والثاني هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مُستندة إلى الخبَر عن الواضع الشَّرعي، ولا مجال فيها للعقل، إلَّا في إلحاقِ الفروع من مسائلها بالأصول، بوجهٍ

قياسي، إلَّا أنَّ هذا القياس يتفرَّع عن الخبَر بثبوتِ الحُكم في الأصل. وهو نقليٌّ، فَرَجَعَ هذا القياسُ إلى النقلِ لتفرُّعِه عنه"[1].

موقف ابن خلدون من العلوم:

1. **موقفه من الفلسفة:**في الفصل الرابع والعشرين من "المُقدِّمة"، وعنوانه: "في إبطال الفلسفة وفساد مُنتحلها" يشرح ابن خلدون رأيه في الفلسفة، فيبدأ بعرْض طبيعتها، ثم يُعقِّب على ذلك ببيان أوجه بُطلانها، "وينطلق في ابطاله للفلسفة من تأكيده أن الفلسفة مرتبطة من حيث نشوءها بالتطور الاجتماعي ومتعارضة مع الدين لادعائها إمكانية امتلاك المعرفة بعامة تأسيسا على العقل وعبر الذين اعتمدوا قانونا يميز بين الخطأ والصواب، ومن خلال استيعابه سيرورة الفكر الفلسفي (اليوناني) منذ أرسطو والاتصال المجتمع العربي الإسلامي من خلال الترجمة" [2]، إذن الفلسفة التي يعنيها ابن خلدون هي فلسفة أرسطو وامتدادها في المجتمع العربي الإسلامي.

2. **موقفه من علم الكلام والتصوف:**لقد عدّ ابن خلدون كلا من علم الكلام والتصوف من العلوم الحادثة في الملة، وإن لم يذكر التصوف كعلم نقلي أو شرعي،"غير أن وضعهما متتاليين في "المقدمة" بما يوحي بأن التصوف قد يعوض علم الكلام في نظره، كما يوحي بتداخل بينهما يكمن في ما يعنى به كل علم وهو الباطن والأصول، في مقابل الظاهر الذي

1 المقدمة، ص 435.
2 غسان اسماعيل عبد الخالق الفطاطفة، موقف ابن خلدون من علم الكلام والفلسفة، مجلة تاريخ العلوم، العدد العاشر، ديسمبر 2017، ص 9.

هو من مهمة الفقيه المعني بالفروع؛ بمعنى أن التصوف وعلم الكلام يهمهما جانب التصورات في الدين، أو الجانب القلبي، في مقابل اهتمام الفقه بالجانب العملي"[1].

3. **موقفه من الكيمياءوالسحر**:في الفصل الثلاثونالخاص بعلم الكيمياء، يسرد ابن خلدون ان الكيمياء (التي يعرفها باختصارها في تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب) من آثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعية، إما عن طريق الكرامة إذا كانت النفوس خيرة، أو عن طريق السحر لأن الساحر في رأي ابن خلدون يستطيع قلب الأعيان كما حدث من سحرة فرعون وما يحدث من سحرة الهند والسودان... وهو يرى أن الكيمياء إذا صح وجودها فهي ليست من الصنائع الطبيعية، وإنما هي من الأمور المتعلقة بالسحر والخوارق الخارجة عن حكم الصنائع.

خاتمة

إن مؤلف ابن خلدون (في القرن الرابع عشر ميلادي) لا يعلن فقط عن ظهور الفكر التاريخي العلمي، "بل إن هذا المفكر العربي، قد وصل إلى أعلى قمم الفهم الممكن لقوانين تطور المجتمع في عصره واقترب من كشف الكثير من القوانين الهامة للتطور الاجتماعي، وبإمكاننا ان نقطع بأن ابن خلدون هو المنشئ الأول لعلم الاجتماع رغم ما يزعمه الغرب في نفي هذا، فهو الذي بحث في مواضيع العمران البشري والاجتماع الانساني بظواهره المختلفة

1ساعدخميسي، موقفابنخلدونمنعلميالكلاموالتصوف، جامعةمنتوري،قسنطينة.

واستنتج منها، إلى حد الحدس والتنبؤ العلمي، قواعد عامة بمثابة قوانين العمران."[1]وقد خرجنا بنتيجة مؤداها أن هذا كان ناتجاً من الخطة العامة لتفكير ابن خلدون، كعالم ومفكر، حيث أراد أن يمهد لكل علم بمقدمة ضرورية له، ومثال على ذلك تمهيده لعلم التاريخ.

إن مقدمة ابن خلدون من خير ما كتب في علوم الإنسان في العصر الذي كتبت فيه، ممثلة لأدق النظريات العلمية والاجتماعية والتاريخية والفكرية، وبمعنى آخر هي خير دليل لمن أراد الاطلاع على أحوال وصنوف وأنواع المعرفة في عصر ابن خلدون، ولعل ذلك سر بقائها بقيمتها الفكرية حتى عصرنا الراهن.

[1] محمود عبد المولى، ابن خلدون وعلوم المجتمع، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1980، ص 118.

فهرس المراجع

1.ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق أبي عبد الرحمان عادل بن سعد، الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

2.ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط 2، 1996.

3. أبو عمران الشيخ، معجم المشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995.

4. أبو عمران الشيخ، معجم المشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995.

5. بن فرج الله بخته، اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة لحمة لخضر – الوادي، العدد مارس 2017،21.

6. بن فرج الله بخته، اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة لحمة لخضر – الوادي، العدد مارس 2017.

7. رابح مراجي، ابن خلدون وفلسفة التاريخ، فلسفة التاريخ –جدل البداية والنهاية والعود الدائم، تأليف مجموعة من الاكاديميين العرب، دار الروافد الثقافية، ابن النديم، ط1، 2012.

8. سالم حميش، الخلدونية في مرآة فلسفة التاريخ.

9. سعيد محمد السقا، تاريخ العلوم عند العرب –رؤية جديدة للمنهج الخلدوني،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الطبعة الاولى، الاسكندرية،2015.

10.صلاح الدين بسيوني رسلان: السياسة الإقتصاد عند ابن خلدون، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، بدونطبعة، القاهرة 1999.

11.عزيز العظمة، ابن خلدون وتاريخيته، دار الطليعة، الطبعة الثانية، بيروت، 1987.

12.غسان اسماعيل عبد الخالق الفطاطفة، موقف ابن خلدون من علم الكلام والفلسفة، مجلة تاريخ العلوم، العدد العاشر، ديسمبر 2017.

13.محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة –معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة السادسة، بيروت، 1994.

14.محمد غالم، مقال "المؤرخون الجزائريون والمرجعية الخلدونية" مجلة "إنسانيات" عدد مزدوج 65،66، جويلية–ديسمبر 2014.

15.محمد محمود ربيع: النظريات السياسية لابن خلدون، دار الهناء للطباعة، ط1 بيروت 1995.

16.محمود عبد المولى، ابن خلدون وعلوم المجتمع، الدار العربية للكتاب، ط2، ليبيا، 1980.

17.نور الدين الحقيقي، الخلدونية العلوم الاجتماعية وأساس السلطة السياسية، ترجمة/ الياس الخليل، المطبعة الجهوية بوهران، بدون طبعة، بدون تاريخ.